1956/5/21

2726

سعفة خضراء

(مهداة الى الاستاذ الكبير احمد توفيق المدني ؛ والى جميع الساهرين على مصير النهضة الثقافية من رجالات جمعية العلماء العظيمة)

توهيبـــلا : يكاد الأدب الجزائري يكون غالبا من عنصر القصة التي اصبحت مادة اولى لمفاهيم الآداب العالمية الحديثة .. مما جعل الباحثين في انتاجنا ، لا يظفرون بالطبيعة الاجتماعية التي تعيشها الامة ، وتمثلها فيما تبديه من نتائج : عقلية ونفسية وذاتية وانسانية وذلك الحلو البالغ هو الذي دفعني الى ان (احاول فقط) موضوع القصة ، وان ابرز فيه معالم من حياتنا الاجتماعية ذات منزع وان اتعرض لتحليل نفسيات الاشخاص (خصوصا بطل القصة) . وان اصور للقارئ بعض الحوادث الجارية بيننا في كل حين وفي كل مكان . وقد اهتممت بالعنصر النفسي اكثر من غيره من الاعتبارات نظرا لطبيعة الشخصية التي تمثل القصة او تتمثل فيها .. وراءنني في كل ذلك ، خدمة ادبنا الحديث ليتمكن من مواكبة النهضات العربية في مختلف الاقطار .. ؟

* * *

ليس في هذا الوجود ما يشعره بالتفاؤل او بنسبة — لحظة — عالمه القريب ، ان دقات قلبه اتحدته بجديد غامض يعمل تحت تأثيره من غير ان يدرك مصدره وروحه وهدفه ، حتى تيرهدت — احيانا — انه يعيش تجربة نفسية قلقة قذفته في ظلمة عارمة من الحيرة والوجوم . وكل ما يمكن ان يعرف عن نفسه الساعة ، انه يستطيل بمكان لم يتصل بالقاييس الحياة الا عن طريق الاساطير وان حياته العامة فيه ظلت محوطة بتعاريج متشعبة مبهمة ليست بذات حياة ولا اهداف سوى اضواء باهتة قد تبلور الاحاسيس وتحت على انتظام الخطى .. وانه انهى زمنه الدراسي بمنأى عن العالم والناس ، فلا صحافة ولا اخبار . ولا مطالعات موجهة . لقد فارق وسطه الرتيب الذي لا يؤمن الا بالسلام والطقوس الدينية ، والخضوع للفروض التقاليدية وسط يتمرد على الاوضاع ومقتضيات العرف ، ويعشق الضجيج والهول ، ويتغنى بملاذ المدينة وزخارفها وحريانها ، فلم تستجب نفسه لنطابات الوسط الجديد ، ولم تتجاوب عاطفته مع نقائه وصخبه ، ومع ذلك فانه لم يقنط من النجاح النهائي ، ولم تستسلم ارادته لجاذبية المحيط القوية حتى ظفر بحلمه اللذيذ وزهرة خياله الجميلة . وقد كان المتوقع منه ان يطير فرحا ، وان تنطلق من حنجرته صرخات البشرى ، ولكنه اكتفى بالابراق — فقط — الى اهله يعلمهم بفوزه الاخير في الشهادة ووصوله اليهم بعد يومين !.

واخذ (جمال) يستروح نسيم الحياة وهو يجزم حقائبه للسفر ، فيكاد يختنق بانفاسه الحرى المتصاعدة دون انتظام وبشعتم فلا يبين ، ويترنح وليس هو بالثمل السكران وكانت اللحظات تمر عليه وكأنها تتقلع بأمانات سرية يحس منها خطرا عظيما . وليس في (مذكراته) سوى خطوط رمزية لهذه الفترات الجديدة التي خدرت جهازه النفسي وما كان صديقه الذي جاء ليوديعه ليغيب عنه — وهو الذكي اللبق — ما فيه جمال من اضطراب ليس بالمألوف . فبدا له ان يستدرجه لمراده — وهما في الطريق — فقال : ارى ان القيظ يشتد كلما طلع النهار ، انظر الاثير سياط اللهيب التي ترسلها الشمس على الارض في حنق وانتظام . انها تصدع هذا الاديم الضحياني فتبخره تبخيرا . قل جمالي بمرارة مكبوتة بعد ان ارسل زفرة طويلة في الفضاء الفسيح : وماذا عسى ان تقاوم ازاء هذه القوة الرهيبة الجبارة التي لا ترحم ان في دماغ كل بشر بركانا يهدده دائما بالانفجار القاتل وليست قوته بأخف وطأة من مفعول الشمس في الارض او في نفسها كما ترى .. اذا ابدا — لجهلنا — تلقي ذلك البركان باسلحة واهية لا تطفي حرارة ، ولا تهدي مضطربا كالغضبة والصبر ، وشكليات مموهة من طبيعة الاخلاق وغريزة الخلق العليا . وقد لا تتمكن من ذلك فيرديها في هوة عميقة من الحيرة : هوة الانتحار الشنيع . فقال الصديق وقد لاح له شيء مما لاحظه منذ حين : اريد ان اقول : ان هذه الحرارة المستعرة التي وقفت كل شيء عن الحركة ، هي بعدائها قد توقف طاقة التفكير وتعطل سير الارادة . وفي ذلك الحين ازالبين وكانا يدنوان شيئا فشيئا من المحطة فاسرعا الخطى حين وقع في آذانهما صفير القطار وقد زاده السكون انطلاقا وصدى ، يتمازاح الصديق بتابع كلامه : ولكن مادامت الانسانية تؤمن بالمثل الذريع فليس هناك ما يصرفها عن احترام التفاؤل ، والبحث عن مهنة مفيدة له في الحياة . ان اليأس قد يجعل منها وحوشا منقمة تفتك من حيث لا تريد .

وكان الصديق ينهي جمله الاخيرة في القطار حيث اخذ جمال مقعده ضاغطا على ركبتيه في الم وحسرة يخفيهما عن صديقه الذي التفت اليه معقبا على كلامه السابق قائلا : لم اسألك عن اغراض الرسالة الفرنسية التي ستتعرض بها وآرائك الاجتماعية الحرة التي ستدعو اليها في وطنك بعد ان كللت بذلك النجاح العظيم . وعلى كل حال فالوقت قصير والبريد بيننا ، وارجو ان لا تبخل علي بما يذكرني بشخصك ، ويجعلني على اتصال دائم باخبارك . اما الآن فالوداع يا صديقي جمال وعانقه في حرارة وعطف . ثم نزل وفي عينيه بريق من دموع الشفقة على صديقه الحزين وقد ود مخلصا لو عرف الاجواء التي اثارت آلامه ، واطلع على كامل علته . ولكن هيهات .. ! (يتبع) ابو القاسم سعد الله

من رابطة القلم الجديد

* بقية الصفحة السادسة *

غير المسلمين في الجزائر هم عشر سكانها ومع ذلك فلا يصل الآخرين رغم تسعة اعشار السكان من نعم البلاد الا ما فضل عنهم ، فلتحيى الديمقراطية والمساواة .

في المغرب : رددت الصحف الفرنسية هذه الايام نبأ عريضة هامة رفعها الفرنسيون المقيمون في المغرب — وعددهم ٧٥ — الى المراجع العليا في باريس احتجاجا على اعمال العنف والقمع التي ابى المسؤولون من رجال الاقامة العامة الا السير عليها خلط الامن وحل المشاكل القائمة في تلك الربوع . وقد كان لهذه العريضة اثرها في الاوساط والاندية السياسية المهتمة في فرنسا بالخاصة في الشمال الافريقي عامة وفي المغرب خاصة ، فتحدثت الصحف الموالية والمعارضة عن عزم الحكومة على نقل الجنرال فيوم من المغرب وتعويضه بجنرال آخر كحلاج اول للمشكل المغربي كما تحدثت عن بعثة من مجلس الشيوخ تزور المغرب هذه الايام لتقوم بما قامت به البعثة البرلمانية التي سبقتها اليه ، من بحث ودراسة لحوادث الاغتيال المتكررة هناك بصورة مزعجة للاستعمار ومنذرة له بالشر المستطير .

وقد بان بهذا ان السلاح الذي استعمله المتآمرون على جلالة السلطان سيدي محمد الخامس لابعاده عن عرشه هو الذي يحارب به اولئك المتآمرون اليوم فقد رفعوا عريضة ضد السلطان ترفع الآخرون عريضة ضدهم وهي أقوى من عريضتهم لاعتمادها على احرار لا على باشوات ومن اف نفهم من الشيوخ المعتمدين ، واوعزوا الى كل (قائد) ان يهبط برجاله الى الكبرى لالقاء الرعب في قلوب السكان الآمنين المتعلقين بسيدي محمد بن يوسف قبول عزله بأيام ، فاستعمل الاسبان نفس الطريقة في منطقتهم الاحتجاج على عزل السلطان من دون استشارتهم وأخذ رأيهم في الامر العظيم الذي اقدموا عليه .

ثم ان الحل واضح ، بعد ان افتست القوة فيما حسب اهلها في المغرب وتونس ، انه هو الحل العادل لكل قضية في القطرين ، انه ليس ارسال البعثات البرلمانية او غيرها ، ولا تبديل مقيم بمقيم ، انما هو في تمكين شعوب الشمال الافريقي قاطبة من حقوقها المشروعة وهي معروفة اليوم في العالم كله .

في تونس : تحاول سياسة المراوغة والمقاطعة التي خلقت سياسة العنف والقوة في القطر الشقيق ، ان تلهي الشعب التونسي عن العمل للوصول الى اهداف نضاله وكفاحه ، بوعود وتصريحات واطلاق سراح بعض المعتقلين من رجال الحركات الوطنية او التخفيف عن الرعيم بورقيبة بنقله الى مكان آخر تحسن فيه الاقامة امثاله من الزعماء الى غير هذا من الاخبار التي نجدها منثورة في الصحف .

ولكن الشعب التونسي اكبر من ان تستهويه الوعود الكاذبة او تعدل به الاصلاحات الزائفة عن خطته المرسومة ، واذا كان لم يستسلم للقوة ، والاستعمار في اوج رقعته ، فكيف يخدع لمثل هذه المراوغات والمقاطعات ، وقد انحدر الى الهاوية ! ...

جمعية مدرسة الحياة

بسيدي الصافي

منذ مدة تأسست هذه الجمعية لتعليم ابناء المسلمين دينهم ولغة دينهم . فدير لها المرجفون مكايد للقضاء عليها . فانهوا رئيسها السيد ابن الصافي الجيلالي ومدير المدرسة الشيخ ابراهيمي عبدالقادر بمخالفة القوانين وقد اتضح الحق وثبتت براءتها وقد تضاعف نشاط رجال الجمعية هنالك وهم بصدد بناء مسجد ورجال الجمعية هم السادة :

الرئيس	ابن الصافي ولد الموهوب
نائبه	القلاوي محمد ولد المسعود
الكاتب العام	« عكاشه « «
نائبه	ابن صابر محمد
امين المال	بلعاتي عبدالله ولد يوسف
نائبه	ابن الطاهر محمد ولد بوزار
مراقب	ابن عيسى احمد

الاعضاء المستشارون هم السادة :

ابن الصافي . الصافي ولد البشير . ابراهيمي عبد القادر . ابن الصافي المولود ولد حماد . ابن يشو علي . بنطاطة احمد . البشتاني الشريف . عادي محمد ولد عبد الرحمان . ابن الصافي الطاهر ولد الحبيب . الزناسي محمد ولد حماد . بوزيد محمد . العطاوي عمر . الحجري محمد ابن المولود الطيب .

البدائع والطرائف

في صحيح البخاري أن عائشة (ض) سألت النبي (ص) : ما خير الكلام ؟ قال : « ما قل ودل » .

حقا . خير الكلام ما قل ودل ، ولذا لم يحفظ من الكلام ما حفظ من هذا النوع

وانا — لذلك — نضيف الى جريدة البصائر — ابتداء من هذا العدد — فصلا تحت عنوان : البدائع والطرائف ، نحف فيه قراءنا الكرام بكل بديع وطريف من حكمة خالدة ، ومثل سائر ، وبيت رائع ونكتة طريفة ، وجواب بليغ ، وشذرات تاريخية مفيدة .

* * *

قيل لعبد الله بن المبارك : الى متى انت تكتب ؟ قال : لعل الكلمة التي تنفعني لم اكتبها بعد .

* * *

قدموا الى سقراط شابا فقال لسقراط : تكلم لأراك .

* * *

قال عمر بن كعب : ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله : اذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ماليس له .

* * *

وقال جبران : قد تنسى الذي ضحكت معه ولكن لا تنسى الذي بكيت معه .

* * *

وقالت الآنسة مي : تكلموا ما شئتم من اللغات ولكن لا تنسوا الصمت .

* * *

قدم هارون الرشيد الرقة فاجتمع الناس خلف عبد الله بن المبارك حتى تقطعت النعال وارتفعت الغبرة فاشرفت ام ولد امير المؤمنين من برج الحشب فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟ قالوا لها عالم من خراسان قدم الرقة فقال له عبدالله بن المبارك فقالت : هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجتمع الناس الا بشرط وأعوان .

* * *

خشي على قطعة من الجبن أن يأكلها احد الفئران فجيء بقط ليحرسها من الفأر فقتل القط الفأر ولكن بعد ما أكل القطة الجبنة .

وما اصدق هذا المثل على دول الاستعمار التي تستولي على الأمم الضعيفة بحجة حمايتها من اعدائها فتكون عليها أشد من اعدائها .

أحمد سحنون

الاشتراك في « البصائر »

في شمال افريقيا العربي :

عن سنة ١٢٠٠ ف

لطلبة المعاهد ٧٠٠ ف

ولا ترسل الجريدة الا لمن يطلبها طلبا مصحوبا بقيمة الاشتراك .

وأجرة تحويل العنوان ٦٠ ف

سعفة خضراء (٢)

(مهداة الى الاستاذ الكبير احمد توفيق المدني ، والى جميع الساهرين على مصير النهضة الثقافية من رجالات جمعية العلماء العظيمة)

وكان القطار يزداد سرعة كلما اوغل في الابعاد تحت سراب الفضاء الغائم بالحرارة فيطوي الارض والجبال والمنعرجات في لمحة خاطفة كأنه سهم نافذ الى هدف ، او صاروخ يشق اجواء السماء . وطفق السفر يستروح نسمات الجبال من خلال الزجاج . ويتمتع بالوان الطبيعة المتجددة . وحكايات الغابات الكثيفة ، والمقاوير الموحشة ، والجبال الخرساء تعيد صور الحياة البدائية : حياة الانسان الفطري بين احضان الطبيعة وجلال الصحراء وكانت الجداول المتسابقة في هدوء بين الحمائل والازاهير تبدو وتختفي كأنها تستحيي من شفاه الاشعة الدافئة بالحرارة ان تلامس رجفتها المسحورة برعشات الجمال . ولم يكن (جمال) يأبه لهم السعيد لتلهيه تلك المناظر عن جوه النفسي الخلاق على شغفه بالطبيعة التي ترعرع فيها وشب بل كان دائم التفكير متصل الكآبة ، وقد يطغى عليه ذلك الشعور الغريب فينتفض بلا وعي ثم يرتمي فوق مقعده مخفيا وجهه بكفتا يديه وقد يرتج عليه بارهامه وخيالاته بحركات لاشعورية ذهابا وايابا . . ترى اي شيء دافع تلك الاوهام والخيالات قد يكون اتجاها غراميا مكبوتا ، وقد يكون مشكلة نفسية معقدة ، وقد يكون مرضا عصبيا خطيرا . وقد يكون غير ذلك ولكن وجهة واحدة لا يمكن الاحتمال فيها مهما كان كونها وهي ان (جمالا) يصعد الآن زبونة جديدة من زبونات الحياة ، لدى حدود التفكير والالهام . انه شاب فارع وسيم في منتصف العقد الثالث من ربيعه الجميل . وقد تزوجت به الحياة بزينتها ومفاتنها تغريبه بالاحلام والظنون . .

وهل بعيد ان يستحيل القدر الصحل جدولا رقراقا ينساب عبر الاعشاب ؟ وهل قبيح ان تخضر الروح بعد اعوام وعبوس ؟!

انه ليس بين الشباب والسعادة سوى التجارب مع نسائم الصبابة وهتاف العواطف . وليس بين جمال و (الحياة الجديدة) سوى هذه المسافة الدانية . ثم ينتهي الى التراب الحبيب الذي فارقه منذ زمان . . .

هذه قرية (قار) غارقة في رمال بيضاء ناصعة يزيدها وهج الظهيرة لألاء ، فيخيل اليك — وقد التفت من حولها غابات النخيل — انها زورق مشحون بحبر العباب ، ويتهادى حملا برفيق النسيم . وكانت ظلال النخيل السامق الفروع تنبسط على الاديم المتوهج فتلطف من لفحه . القيظ الغضوب . وكانت السماء مجلوة الصفحة ، مفضضة الجنبات بضباب مائي اللون يتصاعد كدخان المجمر . والاهالي يكدحون ضاربين في مناكب الارض غير مبالين بالتعب ينهك قواهم . ولا مهتمين بأجسامهم المعراة للشمس ، وبين حين وحين تهامس في الاجواء نغمات فطرية مفعمة بالتطريب فتنعش السامعين ، وتبعث فيهم نشوة روحية تحبب اليهم الجهاد الوديع في سبيل العيش الهني . . وكانت أسرة جمال تعيش في دعة ورضى ، محترمة الجوار ، موموقة بالاعتبار والتعظيم . ولما انتهت اليها البرقية ، فاضت لديها دواعي الفرح وغمرتها اضواء السرور . . وشرعت تعد مرافق الحفلة المشتهاة برهانا فناس واعلانا للبشرى . .

فهذه الام الغالية قد فارقها السقم وراحت بخفة وحرارة تفكر في (تحفة) رائعة تزفها لابنها العزيز بعد ان من الله عليه واصبح من السعداء . . وكان اول شيء دار بخلدها ، ان توفر له كمية كبيرة من الدراهم لكي يقضي بها كفايا تحمل بها خزائنه الطويلة الجيلة . . ألم يصبح جمال عالما ، واهل القرية لا بد انهم سيتفاخرون عليه يستفتونه في مشاكلهم ؟

لكن عبثا تحاول الام تركيز هذه الفكرة على الخاتمها . . فان هنالك بارقة جديدة اقتدحت في ذهنها فجأة . فحولت مجرى تفكيرها في سرعة الاعجاز . . ذلك انها تعلم ان ابنها شاب في ريعان الفتوة . وان احظى فتاة في القرية ستكون من نصيبه ، وان بناته كلهم قد سعدوا بزواجهم الباكر وان كانوا لا يربون عنه ثقافة وحظوة . . ولا شك ان مشاكل الشباب كلها نتيجة لعدم التوفيق في اختيار شريكة احلامهم .

وهكذا ارتسمت هذه الفكرة الطيوبة في ذهن الام ، فطفقت تستعرض صور الماضي . . أم تراوده عن الزواج منذ سنين فرفض ووعدها بأنه سيلبي رغبتها حينما ينهي دراسته ، ويؤنس مستقبله ، اذن . ما الذي يمنعها الآن — وقد اتم جمال ما أراد — ان تبحث له عن امنيته الظريفة ، والشريكة السعيدة . . وما دامت تؤمن بأن ذلك يحفظ نظام الاسرة ، ويصون ابنها عن كلام الناس — فهو اروع هديه تقدمها لجمال برهانا على الامومة الصادقة ، والعاطفة الحنون . ثم ذهبت تحاول بحيوية الشباب . ولن تعدم القرأة شيطانا عفريتا . .

اما الاب فقد اخذ عليه الفرح احاسيسه واعصابه وشعر بحرارة الدم الفتي تلتهب من جديد ، فذهب من فوره ليبلغ الى شيوخ القرية ووجهائها الدعوات ليحضروا الليلة السعيدة التي نثرت فيها الاماني والقلوب .. وريش فيها الجناح الذي طالما دلف على وجه الاديم ، وردد الحمان الحائل السكوى .. ولم يكن الاب يعبر عن احلامه وسروره الا بعينيه وقلبه وحركاته اللاشعورية .. ولما رجع الى المنزل قابلته امرأته بوجه تنطلق البشائر من أسرته ، وهمست نحوه في نشوة بادية . بأنها وجدت الجوهرة المكنونة التي سيهفو لها قلب جمال حبا ، ويسعد البيت باشراقها وجمالها . انها (نرجس) الحيية الطاهرة التي فتقت اكمام خمس عشرة وردة من ربيعها الحالم الندي . فانشرح صدر الاب للصفقة الرابحة ، والطمأنينة الآتية مع الايام التي ستوطيء للاسرة أكناف النعيم ، وتمهد الطريق لتحقيق الاماني العذاب . .

ومرت دقائق سعيدة استعرض فيها الاب مشاكل الاسرة والبراج التي اعدها افضل سعادتها ، والحرفة الشريفة التي سيتعيش بها جمال وهي (التدريس بالجامع الكبير) وبعث القرية من سباتها . . وكانت تلك الدقائق تزداد سعادة وأنسا كلما طلع النهار . حتى علت في الفضاء طلقة بارود قوية ، وزغاريد تتصادى في السماء . انه جمال — ولا شك — لقد كان يمشي مشية يحسبها عارفوه وأهله من دلائل الهيبة والوقار وليس ذلك — في الواقع النفسي — بشيء مما يحسون ! واستقبل جمال ذويه وأصدقاءه في حرارة — قد تكون نتيجة الانفعال — تنم على حبه لهم وحفظ لجميلهم . .

(يتبع)

بلقاسم سعد الله

من رابطة القلم الجديد

* بقية الصفحة الثامنة *

الأدنى ، والاخوان الفاضلان : رفيق ورشيد سنو ، والسيد المحترم بوعزة التلمساني الجزائري رئيس لجنة تحرير شمال افريقية بيروت ، والسيد عفيف بعبوت وفرق من كتائب الشبيبة الاسلامية بملابسها العسكرية الخلابة ، اما الاستاذ الجليل والبطل المجاهد الدكتور معروف الدواليبي (وزير الدفاع السوري اليوم) فقد كان يستجم في مصائف الجبل فلما سمع هرع مسرعا الى بيروت فكان لقاء ، وكانت ساعة من زمن قضيناها معه تعد من غرر ساعات العمر على أن اصدقاء الاستاذ الكثيرين لم يشأ ان يقلقهم بحضوره حيث كانوا في المصائف على ابعاد من المدينة .

جلنا في بيروت وبعض نواحي الجبل بالسيارة وان انسى عشية قضيناها بشاغورحانا بمنزل الأستاذ بوعزة التلمساني عرفنا فيها معنى تغني شعراء الجيل بمغاني بلادهم ولو كنت شاعرا لتفوقت على الأخطل الصغير او حليم دموس . ولكن الله غالب فليكن شعري من نوع النثر الفني ولربع الله سوريا ولبنان ووداعا — ايها السوريون واللبنانيون — ولا كان اللقاء الأخير وحياكم الله ... الى مصر من جديد !

سكيكدة محمد المنصوري العمري

شعبة توفيل سيرصيون

بعمالة الرون

تأسست شعبة لجمعية العلماء ببلدة توفيل سيرصيون من السادة :

الرئيس	محمد بن علي بن خليل
نائبه	محمود بن احمد بودبية
الكاتب	علي بن الطاهر دبلمي
نائبه الاول	العيد بن ابي بكر بن يحيى
نائبه الثاني	محمد بن احمد قاضي
امين المال	ابراهيم بن احمد بودبية
نائبه	بالقاسم بن الطاهر بن خليل
مراقب	حسين بن علي سقار

الاعضاء المستشارون

العربي بن الحسن بوقج . بالقاسم بن المولود احمد قاضي . عبد الله بن الحاج محمودي سعيد بن احمدية بن شريط . احمد بن قريب كوكه

مدرسة الحيـــاة

بسيدي يدير التابع حوز (لبنان)

جاءنا من رئيس جمعية هذه المدرسة السيد قرقاش الخمس نداء حار موجه الى اولاد سيدي ايدير المقيمين بالجزائر وفرنسا والى كافة المسلمين الجزائريين يرغب منهم مد يد الاعانة لتجديد بناء المدرسة الذي كاد ينهار من الامطار والثلوج ، والجمعية بصدد ترميمه وتجديده والتبرعات في الجزائر تكون بواسطة السيد طيقان مقران نهج شارنر ١٢ — الهاتف ٢٩٥٠٧٨ وفي باريس نهج فورج اردو الرقم ٧ القسم الحادي عشر .

سعفـــة خضراء (٣)

(مهداة الى الاستاذ الكبير احمد توفيق المدني ، والى جميع الساهرين على مصير النهضة الثقافية من رجالات جمعية العلماء العظيمة)

ولقد كثر التهامس من العامة — الفضوليين في كل شيء — حتى قال بعضهم بصوت خافت وهو ينظر الى السماء : الحمد لله الذي رزقنا عالما سيخرجنا من الظلمات الى النور بعد ان منعت الحكومة ابناءنا من التعليم العربي وحجرت علينا فتح المدارس الحرة وأجبرتنا على تعليمهم في مدارسها الخاصة

وقال آخر اي صوت مثله : اسمعه يساعدنا فنتغلب على الحكومة قانونيا ونبني لأنفسنا مدارس مستقلة

وقال شاب مريد . احسب أن (جمال) لا يشغل نفسه بمشاكلنا الا بعد الزواج لأنه كالشاب المقدمين من ابناء القرن العشرين فأيقنت احد يقوله : ولكن العلماء بمعزل عن شجون المواطنين ومادامت رسالتهم انسانية لا شخصية فلا بد انهم يعيشون امرهم أغنياء عن فوائد الدنيا ومتاع الشياطين

ثم انتهت السيرة السعيدة تحت أضواء القمر المؤنسة وانفاس السمار وعناق الليالي وجميعهم يتوسم في جمال خصائص الرجل المرشد الذي سيخرجهم من الظلمات الى النور وإلاذاك للشاب اللعين .

على ان الأم لم تفجأ جمالا بالهدية ولم تحدثه عنها الا بالاشارات لما رأته من سمات التعب عليه وتوتر الأعصاب بل اكتفت من كل ذلك بقولها : ارجو ان أراك سعيدا مع من تحب ياعزيز قلبي اما الآن فنم نومة عميقة هادئة في هذه التربة الطرية والى الصباح السعيد !

* * *

استلقى جمال على نضائد الرمل الحريرية وقد رنت في أذنيه كلمة أمه الأخيرة بنغم مسحور واسلم شعوره للقمر يوجهه حيث شاء واسفرت له النجوم والقمر عن ضوء دافق بالحرارة ، فياض بالذكريات ، فاطلق جمال خياله يسبح وراء الوهم ويطوف بعالم الذكريات والأساطير . ان الحاجة في الناس النوم غير مجد لدى مايؤرقه من آلام نفسية واقد تمطى به الليل حتى انقله وسواسا وهما اضافهما الى تعبه واضطرابه وبات ينتظر الصبح وضجيج الأطفال وهو يهذي ببعض الأسئلة : ماذا تريد أمي من قولها : أرجو أن اراك سعيدا بمن تحب ؟ وهل انا عاشق ؟ أبدا .. أبدا . وما عساي ان أقول لها غدا إن كاشفتني في شأن الزواج ؟ !

هل أغيظها بعنتي ؟ انها ستتألم من ذلك لا . لن أغيظها بل ارضاها وامنيها ولكن كيف ؟ ان أي تنظير الى قريب ولا تفذ الى أصول المشاكل والقضايا . . . انى غير ناس الزواج ولكني فقير من سلاحه يجب ان أعد نفسي واعالجها يجب ان أمهد الطريق واخرج من دائرتي الضيقة لأواجه الحياة انى لم أتنفع بتجاربي ومعلوماتي حتى الآن ولكن أترانى مريضا احتاج لعلاج سريع ؟ لست ادري !

ولما تنفس الصبح في فتور وأشاع نسمات الشباب الجديد في الأعماق المتناهية — جاءت الأم حاملة ابريق القهوة الى جمال وهي تثرثر في نهم يزيده انطلاقها وضوحا : منذ زمان وفكري مشغول بناحية خطيرة من حياتك وما سمعت بنجاحك تأكد لدي انه لا بد من تنفيذ ماشغلني حتى كاد ينسيني لذة الحياة انت ياجمال تعلم ان الأم لا تبغي سوى سعادة ابنها سعادة أبدية تزيدها تقصيه عن علل الانسان الظاهرة وشباح البؤس المطاردة . . ولكنك — يابني — لا تعلم أي هدية اعددتها لك لضمان سعادتك وستزف لك قريبا ؟ ! قالت هذا وهي تلاحظ انها ترقم على الماء وان كلامها لم يحرك مشاعر جمال حتى يبرهن لها على رضاه بالبشر والارتياح بل انه أجابها في هدوء بعيد وبرود متناه : أي هدية تعنين يا أماه انك تريدين هدية مثل حلويات البارحة التي تناولها الأطفال انى لست في حاجة اليها ولا الى مثلها لأنى لم أشتق يوما الى تناولها .

— أتحسبني امزح معك ياجمال ، كن متيقنا بان هديتي الغلى بكثير مما كنت تقول أغلى من الذهب والجواهر بل حتى من الأرواح ! . انها (ترجس) تلك الريحانة العطرة والملاك الشادي بتسابيح الجمال . . .

— الآن فهمت مرادك وتبينت حنانك وعطفك ولكن أعوذ بالله من ان أحتضن الترجس وبين جنبي قلب يضطرم كالنار كان إن الترجس غض جميل لا يحتمل دغدغة النسيم يا أماه وحولي حياة كلها عواصف واعاصير أنا لست مجنونا ولا مخبولا ولكني احتاج الى مكث طويل في مستشفى المجاذيب لأنظر إلى الحياة نظرة عميقة كاشفة . انى أبغض الناس جميعا ولكني اريد ان ادرسهم على ضوء بغضي لهم .. تريدين مزجي بمن أكره ان أكون معه عنصرا ثانيا ؟ !

وهنا عرفت الأم الذكية ان (جمالا) يدا ورها ويصطنع رضاها لا غير وانه مايزح مصرا على عدم الاقتران بالمرأة التي تحب وانه يوهمها بلغة غامضة تشبه فلسفة المجانين وان هذه المظاهر منه تدل بوضوح على تشاؤمه ويأسه ولكن ما الحياة ليأس الأمل في نفسه وشفائه من تلك الأدواء المزمنة وكانت الأقدار تهيئ الظروف القوانية فاتفق للأم أن تحضر عرسا لجارتها .

واجتمعت فيه بمشيرات النسوة اللائي كن يشققن الحديث ويدخلن السرور فتكلمت احداهن عن السيدة (الوليمة) .. كما كن يطلقن عليها . وكيف تغيب عن الوجود وتشفي المصابين بامراض معضلة ونشطت الأم لهذا الحديث الهام واعارته جميع ماتملك من مواهب حتى أحاطت بجميع المعلومات عن تلك (الوليمة) المحترمة ذات الشأن العظيم والحظوة الخطيرة لدى الانس والجان !

وقد عرفت انها تحفظ جانبا من القرآن الكريم وتحسن الأحاديث والأمثال وعندها كثير من أساطير الأولين واخبار الجن وانها معجزة في فنون الرقية وان كثيرا من الناس نجا على يديها من الموت المحقق فوطدت العزم على ان تذهب اليها وتستجديها وتتوسل اليها بكل ولي وشريف وعزيز وغال

وفي صباح اليوم القابل كانت العجوز الشمطاء أو (الوليمة) الصالحة بجانب سرير جمال وهو في شبه سكر غريب او ذهول صوفي وقد تصاعدت من حولها انواع البخورات وبين يديها جمال تقلبه وهو في أحلام الموت جاحظ العينين وكانت الجامير تحترق بأصناف العيدان والمعادن ثم طوقت رقبته « بسعفة خضراء » وقالت له وهي تحكم عقدها : حذار أن تحاول انتزاعها قبل ان تيبس وإلا غضب عليك (الشقمقول) و « الهيهب » واستحصى شقاؤك ثم التفتت الى الأم وهي منصرفة كالخيال المهيب وقالت بصوت غليظ : عندما تيبس تلك السعفة على عنقه اعرضي عليه ما تشائين فانه لا يستطيع أن يعصي لك أمرا أو يفر من شرك الحكمة

* * *

وفي أمسية جميلة لشهر اكتوبر من سنة ١٩٤٦ وبعد سبعة أعوام من الواقعة كان جمال يتنزه في حقول النخيل ومعه طفلان يخيل للناظر انها ملكان هبطا من السماء وليسا بابني جمال فهل كانت الأيام تحلم او كان جمال في يقظة الحياة ؟ !

انتهى

ابو القاسم سعد الله

من رابطة القلم الجديد